
الرسوة
مجموعة قصصية
زكريا رضوان

استاذي الفاضل / محسن المغربي

مع خالص مودتي

زكريا صيام

٢٦/٤/١٩٨٤

٢٥

رحلة

أعطــتنى المــليكة سراً . حملنى السر إلى مملكة النور أعطتنى العجــوز الولــود حصاناً سحرياً. الحصان طار بى إلى قصر التنين . أعطتنى الساحرة الشابة مركباً . المركب أوصلنى إلى شاطئى الأخير

الدائرة

بـــين الإبهـــام والســـبابة قبض على القلم . رسم دائرة فى أعلى

الدائرة من اليمين رسم فتاه .

قال :

– هذه الفتاه سأتزوجها .

* فى أعلى الدائرة من اليسار رسم بيتاً .

* قال :

–هذا هو البيت الذى سأسكنه أنا والفتاة التى سأتزوجها .

تحت البيت مباشرةً رسم حديقة .

قال :

– فى هــذه الحديقــة سأتنزه أنا والفتاة التى سأتزوجها. أسفل الدائرة رسم شرطى . أخذ يمعن النظر فى الصورة مليًا.

تــركها جانــباً . أخذ يفكر فى الفتاة التى سيتزوجها ، والبيت الذى سيســكنان فيــه ، والحديقة التى سيتنــزهان فيها . عاود النظر إلى الصورة .كان الشرطى يتمدد فى مساحة الدائرة بأكملها.

مرور

فى منتصـــف الطريق رَكَنْ . اتجه إلى جدار كتب عليه "هنا ممنو ع التبول" . لحق به كلبه .إلتصق بالجدار . سحب سوستة البنطال . رفـــع الكلب رجله اليسرى . أعاد سوستة البنطال إلى مكانها الســـابق . أعـــاد الكـــلب رجله اليسرى إلى الأرض .عاد إلى منتصف الطريق .كان الكلب يبصبص بذيله فى مرح. أما هوفلم يكن يبدو على ملامحه أىّ علامة ارتياح.

الرقعة البيضاء

قال وهو يحرك أحد عساكره السود فوق الرقعة البيضاء :

–طول العشرة بينك وبيننا تسمح لنا أن نغتنم مساحة من اللعب .

تقدمتُ بحصان أبيض نحو العسكرى الأسود الذى حركه . أضاف :

- وأنـــت عـــلى أى حال رجل مثقف واللعب معك فيه متعة .تقدم

بفيل من آخر اللوحة ملتهماً الحصان الأبيض

- نحن نعرف عنك أشياء ربما لا تعرفها أنت

انتقلتُ بالحصان الآخر إلى الوراء .

- نعرف أصدقاءك ، والكتب التى تقرأها

تقدمت بالعسكرى الأبيض كى أسّد الخانة التى خلت .

والكتابات التى تكتبها .

تقدمت بالعسكرى الأبيض خطوة أخرى .

– لا أخفى عليك أننا نقتل بلا بصمات

سحبت الحصان الآخر . دفعت به بين العسكريين .

–وأصدقاؤك هم مسدساتنا الكاتمة للصوت

تقدمت بالفيل .

– لعلك الآن قد اعتدت هذه الحقيقة

هممت بسحب الفيل خطوة . التقط الفيل والحصان والعسكريين

وهو يصيح :

– انتهى الدور يا بطل

أسرعت بالتقاط الملك .

قذفت به من النافذة .

"نشرت بمجلة الشاهد "

النار

كان منظر النار يثير فىّ كوامن الرعب . ملأت دلواً عن آخره.
رحت أدلق ما به من ماء دفعة واحدة على النار أطفئها ، والغيظ
يأخذ بتلابيبى .

تعجبت حين لم يبد أى منهم أدنى اعتراض على فعلتى هذه . لم
يبق بالغرفة أى بقعة ضوء غير التى أطفأتها يداى . وحين لفّ
المكان السكون ، وأيقنت أن العالم قد نام نومته الأخيرة ، إذ بهم
يستلّون خناجرهم ، ويعملونها فى جسدى

المصباح

دموعها نجمتان مشتعلتان تسقطان فى فضاء حزنها. ينهار سد شجاعتها فجــأة . تطــلق العنان لروحها الباكية . ما تبقى منه هو رائحة تلك الــوردة الــتى تحتفظ بها فى الكتاب الذى أهداه إليها قبل الرحيل . تقرّبها من أنفها تشم فيها رائحة يديه إذ يضعها فى صدرها . تقترب من الــنافذة . لاتزال تسمع صوت قدميه على الأسفلت . تحمل مصباح الــنيون فى يدها . ينظر الناس إليها فى عُجب . ينصرفون . تشعل له لفافة التبغ فى فمه :

كل النساء مثل الرنجة المدخّة .

ما أنت فجنيّة البحر التى تسبح فى يدى

تبتسم متلعثمة ..

أنا السمكة التى لا تريد العودة إلى الماء

فوق الطريق المعتم بعض السكارى يتطوحون يلوحون لها صائحين:

لسّاكى مستنياه ؟

فى يديه تنتفض .. ننفض عنها موتها . تعود أنسجة الحياة تتشكل

فى دمها . قلبها يعلو ويهبط

لأول مرة تشعر فى حلقها طعماً لكن الكلام يحتبس داخله .

لاتجد سوى الارتعاشة تعبّر بها عن أشواقها . يضمها مقبّلاً .

يهمس :

– الهواء يفسد الكلام كما يفسد السمك .

تتنهد:

أنا السمكة التى تريد أن تمـــوت حباً . لكنى أخشى فساد العبـــارة ،

ويقاطعهـــا : اجعـــلى صدرك على صدرى فلا يوجد أبلغ من مناجاة

الجسد .

تلمع النجمتان بخديها على ضوء مصباح النيون .

تصيح فى فرح :

- أهديك جسدى وروحى .

كـــانت تعـــرف عشقه لهذا المصباح. فى الليالى التى ينقطع فيها التيار

تـــأخذه النشوة . يقفز إلى منتصف الصالة . يصفق بملء كفيه . يدوخ

رقصاً . يرتمى على حجرها رافعاً عينيه إلى وجهها . يهتف :

هذا مصباحك ، فنار يهدى سفينتى التائهة .

يأتيها صوت الشرطى من آخر الشارع مدوياً .

مين هناك ؟

ترتجف . يرد أحدهم مستنداً على كتف زميل له وإحدى قدميه

تتزلق على الأسفلت :

مساء الفل عليك يا باشا .

صوت سرينة عربة الشرطة ينبئ عن ابتعادها .تعود إلى النافذة .

يتربعون على الطوار . أسفلها تماماً . يتبادلون القهقهات .

يشيرون إلى النافذة إشارات متتابعة . يجأرون :

–طال إنتظارى لوحدى والبعد عنك أليم

يهتز المصباح فى يدها ، كاشفاً عن نهاية الطريق .

ترجع بالمصباح
واجفة .

يتوارون خلف الظل الممتد . تأخذ مساحة الظل فى الاتساع .

يختفون عن نظرها تماماً . فى هدأة الطريق تسمع شخيرهم . تتطلع إلى السماء بشغف .تترقب بزوغ أول خيط للفجر . يفجأها حجر منطلق مـــن مـــنطقة الظـــل . تحتضن المصباح فى هلع . تشعر فى عتامة الليل بـــلزوجة الدم المنسال من يديها . تتلمس أرض الغرفة باحثة عن فراغ تسند عليه ما تبقى من المصباح المهشم .

الرسوة

حمـــل يـــدى عم السيد البوص كيسان . قطع عم السيد الثوب قطعـــتين . فى كـــل كيس وضع واحدة .كل طلعة شمس يمر عم السـيد من بوابة الرسوة بثوب القماش مقطوعاً نصفين . الكل هــنالك يعرفه ، وما فيه القسمة يدفع . وما أن يخرج عم السيد مـــن بوابـــة الرسوة حتى يعود بالسبُّوبة ، عشرينابة فى ظهرها حنطور . قبل البيت يمر على التجارى . يتفق على الثوب الجديد يصرّ دائماً على نفس السعر رغم ادعاء التجار أن سعر القماش ارتفع مع البنـــزينة .يخاف عم السيد على العشرينة أم الحنطور أن تخس مليماً . فى

الـــتجارى لا أحـــد يناقشه . التجارى كلّه يعرف عم السيد البوص .

بوابـــة الرسوة بمن فيها تعرف عم السيد البوص عزّ المعرفة .من بداية

المنطقة الحرة لا أحد فى السوق قال بم لعم السيد .الشتيمة منه فاكهة

.يســـتقر الجميع إذا لاحت عليه إمارة صمت.لايتركوه حتى ينفجر فى

أحدهم بركان غضب:

–يـــا لا دانت أمك كانت بتشترى بتعريفة كسبة فى الهجرة تغدّى به

العيال . عملتلى فيها فِلّه ؟

هـــذا الصـــباح الـــبوص يده على قلبه ، وعينه ترفّ . لم تقرب يده

الاصطباحة ويصرخ فى وشّ من يراه .

–نهـــاركم أســـوَدْ من قرن الخروب. ومن يراهم عم السيد وشوشهم
عكرة . لم تصلّ على النبى. لا يعرف منهم أحداً .

تـــلفت يميـــناً ويساراً . يدفعونه دفعاً إلى الرصيف .يشخط فيه

أحدهم:

– ما تغور فى داهية ادفع القسيمة قبل ما بهدلك .

يـــرتمى الـــبوص عـــلى الرصيف ذاهلاً . رأسه فى يده ، وعيناه

مغلقتان على حزن. البندقية التشيكى فى يد عم السيد تعمَّرت.

الجرنـــبديـــه فى وســـطه حبـــلى تريد الميلاد . الميلاد هو رقاب

عسكر الانجليز والفرنساوى. يزعق عم السيد:

–الرصـــاص لاولاد الحرام حلال . بعون الله ماحاتخلى منهم من

مرة وسخة ماشى ع الأرض . مكان البرابة تشك مرور قديم .

يخذه البوص ساب . من خلف الساتر يرش عم السيد الطلقات

شا الراديو فى جيب سترته . الله أكبر يابلادى دع سمائى .

... دع كنالى ... أيها الأخوة بورسعيد تدفع ضريبة الدم

يغـــلق الـــبوص مذياعه .يلقى السمع لصوت ترباس البندقية التشيكى يرتطم بمقدمة الماسورة . تنطلق رصاصة جديدة نشوة تمتلك عم السيد . العسكر الهابطة من السماء عرائس لا ملمح لها . المكان دائرة مزحمة بالـــنيران متخمة بالجثث . الأفواج تتدافع من قلب المدينة مثل دفقات الدم. يلقون إليه بالتحية . التحية إصبعا السبابة والوسطى بحرف الV .فى طامية مجلسه اليومى مع الصهبجية ؛ يتذكرون البيوت المغلقة على أصـــحابها . يقـــرأ لهم عم السيد من الجريدة آخر أخبار الجبهة.يسرى صوت البوص ملفعاً بالشجن على أوتار السلك :

والله مهما البعد طال

راح نرجعلك يا كنال

سلموه بطاقة العودة . فرك عينيه . عض سبابته .

حانرجع بور سعيد ؟ حانتزل الكنال من تانى ؟ ألف ألف مبروك يـــاولاد . يخطـــو البوص على تراب المدينة المعفّر برائحة الصبر والغـــربة . مع أول فوج نزل عم السيد من سيارة الحكومة عند منـــتزه ســـعد. من منتزه سعد تسلم البوص البندقية التشيكى. يستعجل رفاقه .

ياخوانّـــا البـــلد بتتحرق وأنتوا لسة واقفين . اعملوا لكم همة شوية ياعالم . رأس البوص فى يديه . عيناه مطبقتان على غضب. والأسطول الروسى أعلام حمراء مزوّرة تخفّى تحتها الجحيم .

الصـــهبجية بالغدر راحوا . يصيح البوص وملء عينيه نار ، وملء قلبه دمع والله ما نسيب تارك يا بور سعيد .

رأســه بين يديه . يغلق عينيه على انكسار القلب . الرصيف نار تأكل بدنـــه فى هجـــير الظهـــيرة . يفيق البوص على لسعة الشمس .يراهم قـــادمين . وردية جديدة تسلّمت . نفس الوجوه التى يراها .كل طلعة شمـــس . مـــا أن يقتربوا منه حتى يشيعهم ببصقة خارجاً من البوابة .

يصيح البوص :

– يـــاولاد الـــزانية.مـــلعون أبو اللى يعتّب الجمرك بتاعكو من بعد النهاردة .

ودون أن يدرى يتذكر السونكى الذى تبقى له من البندقية التشيكى .

الناس كالنمل يتساقطون . الدم فوق الماء بدل الملح .

شظايا

البـــنت الحـــلوة ، وهـــو يمعن النظر فى وجهها الذى مثل البدر

ينسرب منه الكلام عن الأهداف المستحيلة للرجل الصبور .

عـــلى الســـرير المغطّى بالعرق تحدثه زوجه عن أهمية توفير شقة

لابنهما كى يتزوج .

فى المساء يجاهد فى نطق الجُمل للتلاميذ بالسرعة المطلوبة . يعيد

قراءة النص مرة بعد مرة

نداء النهر

مــــررت على أسوار الليل سوراً ، فسوراً .تملكنى رعب. كان السواد أقوى من رعبى . أخذت أدفع عن نفسى جيوشاً من الندم تتحصن فى شـــعورى بخيـــبة مسعاى .كلما دمرت حصناً رَدَّدتُ كلامى عن قوة القـــلب . تذكـــرت أنى كنت أحدِّث أطفالى عن قسوة الحزن ، وعن رحـــلة العشق والحياة ، وتذكرت أحلامى التى كنت أرويها لهم صباح صـــباح . كنت أقول لهم أننى أخاف عليهم من الخوف . قلت لهم أنى أشهد عليهم الأرض والسماء بما حدثتهم من أمر .

قلت لهم : ماذا تنتظرون منى وقد بلغت العشرين بعد المائة .

نـــاديت الـــنهار أشهده . هتفت به :كن شجاعاً. أيها النهار إذ

تذهـــب معهـــم لأنك الذى ستورثهم الأرض . وقبل أن يذهب

البياض بهم وضعت فمى على أذن السماء . رحت

أسمعها النشيد :

لحن أول :

ياسماء .

أعطنى أذناً تسمع •

ويا أرض

احتضنى ما يقول فمى .

كلامى مطر

فافتحى له يا أرض باب شهوتك

ندى

يبلل عشبك

عطراً

ولتتذكرى أيامنا

وما وهبتنى من البنين

والبنات

وإن أردت

فاسألى

سنين عشقنا

فعندها لك الخبر

لحن ثان :

لو تعلمون ما أعلم

إذاً لرأيتم النهاية

ماثلة أمامكم

كالجبل.

كـــنت قد جاوزت السحاب ، واضعاً نشيدى فى نايى ، نشيدى

ينســـاب فى صـــدرى شذى ، وقلبى يدق صدرى لحناً عارماً .

رأيـــت الناى بيدى يقطر دماً ، يتجمع قطرة قطرة ، يصير نهراً

يجرى .

غير أنى وأنا أذوب فاتنى أن أضع علامة لأطفالى تدلّهم إليه .

وهاهو نهرى ما يزال يمحق أسوار الليل سوراً ، فسوراً ، فسوراً

، ماضياً إليهم.   (نشرت بمجلة الشاهد)

لم يعد لى غير هذه المدينة

(1)

يروق لى انتظار شيء .. أياكان .. هذا هو الحبل الذى يربطنى بالعصر .. ولا يعـــنى هـــذا أن هناك بدائل عن الأشياء الصحيحة ..إطلاقاً . لكننى من بين الأشياء المعادة دائماً ، ترسخ فى نفسى القناعة بأن أواجه الأمور وهى تختلف ، وأن هذا الإختلاف هو بمثابة الخيط الرفيع الذى قـــد يؤدى بالإنسان إلى الوصول إلى معنى ما لهذه الحياة الجافة . وفى هـــذا البحث قضيت سنوات عدّة ، ووصل بى السعى إلى نتائج ضئيلة ولكنها فى واقع الأمر جوهرية جداً

كانت هذه الأفكار تضطرم فى ذهنى وأنا أجلس معها .

منفردين .. كنت متهيأ لمواجهة حقيقيّة .

(2)

أيها المواطنون   حلّقت طائرات العدو الإسرئيلى فوق بعض

مواقعنا الأمامية ، فتصدّت لها .

أغلقْتُ الترانزستور .

(3)

حـين عـلّقتْ حقيبـتَهاَ على ذراع الكرسى أدركتُ كم هى

متماسكة ، ربما كان ذلك بسبب ارتباكى أنا .

-- هل أنت غاضب من شئ ؟

-- نعم .. كلا .. لِمَ ؟

– حسن

– حسن ماذا ؟

ما أنت فيه .. قل لى متى تقابل والدى ؟

حدثـــت نفسى بأنها إمرأة عاقلة تأبى أن تضيِّع وقتها الزائف. ثم وأنا

أطرق المنضدة قلت :

– غداً.

وأنا أتأبط ذراعها اللدن تمنيت لو سألتني لماذا قررت.

–موعدنا غداً .

قالـــتها وهو تلوح لى بأصابع مدببة الأظافر أسياخاً تنغرز فى صدرى ،

وغاظنى إحساس بتفوقها .

(4)

فى اليوم التالى صحت المدينة على أصوات المدافع .

هرع الناس يستطلعون :

– اسقاط.

– متى ؟

الفجر

الجنود ؟

– يقاتلون حتى الموت .

– المقاومة ، المقاومة

– جميعاً إلى السلاح

(5)

فى الميدان الكبير وقفت الشاحنة ..تجمَّع الناس..دوائر يتوسط كل منها

شخص يحمل بندقية . يفك أجزاءها يعيدها إلى مكانها السابق ..

تـــتعرج أطـــراف الدوائر عند خروج بعضهم ودخول آخرين . الكل
سيل يتفرع إلى قنوات تتجه إلى مصب واحد . صوت الرصاص عواء
يعدو فى الطرقات بلا توقف.

(6)

عند المغيب المنازل أجسادا أفرغت أحشاؤها. الدوائر الصغيرة عادت

تتكون فى بـــطء . غشى المدينة السكون .متصاعدة من أعمدة الدخان

الرمادية . رأيتها . وجهه الرمادى حزن .

أخرس . عينها نجمتان هما بقايا من شعاع .

– إلى أين ؟

– سأسافر قبل النهار ، مات أبى فجراً .وأنت ؟

– أنا باق .. لم يعد لى مكان غير هذه المدينة .

(نشرت بصحيفة الرأى العام الكويتية)

العام الثامن

(1)

عيناه تحاولان النفاذ فى دوائر الضباب عساهما تدركان بؤرة فيها تغاثان وتعصـــران دمعاً رطباً . هذه السنون الشداد أكلن ما تقدم وما تأخر.

يرنو إلى بقعة ضوء فوق ذؤبات الحلم .

يجد سعياً نحو رؤى . يحمل رؤاه على كفه . لا يقصُّها على أحد .

(2)

فـــتح الكتاب . قرأ عبارتين . ربما ثلاثا . اعتصره الألم إذ يتذكر متى كانت آخر مرة أمسك فيها كتاباً . عاود القراءة ظل يردِّها حتى رآها جسداً يمشى على رجلين . أغلق الكتاب . هتف :

لو كنت أعرف كيف أوفى الحزن !

(3)

خـــرجت إليـــه من خدرها . تحدثه عن المدرسة والغسالة كاملة الحركة ومطالب الطبيب ، وإنها لصادقة ، هكذا حدثته نفسه .

عاود حديث السنين اليابسات .

أضاف :

يا إمرأة ، السجن أحب إلىّ من هذه المعيشة !

(4)

حـــين قـــدم رئيسنا تناجوا همساً : ما هذا بشرا . ، إن هذا إلا عجل زنيم !

قال : فلم عبدتموه؟

رد أحدهم بلا اكتراث : وأطيعوا الله والرسول

أردف : وأولو الأمر منكم .

يضحكون .

(5)

راودتــه الشمس عن نفسه . قال : احرقيني وذريني فى زوايا الكون .

اجعــليني بــرداً . هــا هــو صدرى فقدِّيه ستخرج من رحم الغيم ،

ونســتحم بــرائحة العشق وإذ كان النهار ينفض غباره البشرى فوق

بحــيرة الأســفلت ناداها قائلاً : أنت أنت ما اكتسبت ، فهل لى منك

بذلك بعد ذلك من نصيب ؟

(6)

تقرير عن حالة الطقس :

لا تَغَيُّر يذكر فى اتجاه الريح .الحرارة باقية حول معدَّلها

تنبيه :

الصيد ممنوع حتى إشعار آخر . حالة الموج لا تَسُرّ

(7)

إظلام تام

.

.

(8)

راقــد بلا حراك فوق تلال من الرمل باردة .خرجت من ثناياها حشـــرة . أنســلّت من بين إصبعيه . لدغته بعنف . أوشك أن يصرخ ألماً ، لكنه أدرك أن البرودة أخذت فى التلاشى .

(نشرت بمجلة إبداع)

الدَّراجة

حدث أنّي سرت فى أحد شوارع مدينة خليجية .كان الشارع قد خلى مـــن أى ظـــل ، الـــلهم إلا ظـــلّي لا أدرى لماذا تعاودنى الرغبة فى البكاءكـــلما ظهـــرى آلمنى .قبل أن يستغرقنى شعورى بالوحدة سمعت ضـــجيجاً يمرق من. وراء . لم أكن حقيقة منتبهاً إلا لظلّى ، يتدحرج أمـــامى وأنا أحلم بنسمة ، وعودة إلى شرائطى ، وجهاز استماع قديم أحضرته من بلدتى . أحدهم أطلق على بلدتى "مدينة الإست" لم أعلّق مكتفياً بالدهشة .عاد الصمت يئزّ قرص الشمس تهاوى فوق رأسى . الهواء تعطّن . رغبتى فى المشى تلاشت .

استدرت متأهباً للرجوع . خامرنى الشك فى كل شئ .

* مديرى ودعنى بالمطار .

– حسابى موجود فى بنك أبى ظبى . تكفيك هناك ثلاثون ديناراً شهرياً . حوِّل الباقى أأرنبه لك . الصوت يخرج من بطن ذئب. مديـــرى يدير محلَّين بجوار المصلحة التى أعمل بها . انتبهت على الصـــوت يبـــتعد مخلّفاً ذخات من دخان .امتلأ الجو بالعطانة . نقـــرات حذائـــى على الأسفلت أخذت تعلو . العواء يفترش الفـــراغ . التوسُّل فى عينى أمى .العواء ازداد التصاقاً بى .ضغط على أنفى برائحة العطن .

إمرأتى صاحت فى وجه أمى .

– إنه لم يجمع ثمن تذكرة الرجوع

صـــدرى انضغط .العواء واصل اقترابه .ظل صدرى ينضغط. العواء

يقـــترب .العـــواء يطـــبق عـــلى روحـــى. يفترســـنى

....

....

....

قـــبل أن أفيـــق كان أحد الصبية قد هوى بسوط على ظهرى ، بينما

اخـــتفت دراجـــة نارية فى حلق الشارع . الآن كلما تحسست ظهرى

دون قصد يسيل العطن من بين أصابعى، وتعاودنى الرغبة فى البكاء .

نافذة

لحظـــة بـــلحظة أخذت تستعيد تلك الرائحة . تفتّتها .تتفتّتُ فيها.
ومضـــات تتســـلل إلى عروقها دون هوادة .نافذة ينسلُّ منها بريق
غامض . أتوا بأسياخ حديدية .غرسوها صفوفاً فى قلب قلبها . تفزع
إلى لحظة ملامسة .تسحب خيوطها حيث هى قابعة تتطلع إلى الأفق
.نافذة . عرفتها كوة بالجدار . قلبها كالنار يشق هذا الجبل الثلجى .
تتلاشى معه سذاجة عمر طويل . رغم الخواء يصَّعَدُ فى صدرها دبيب
انفجار . تطيل النظر إلى الرصيف . صدرها يعلن عن بدايات تحفزت
لهـــا طويلاً .طويلاً . تنظر إلى نهديها يسترخيان على كفيها طائرين
وديعين . تشعر بعتامة اللحظة . تنتظر عودته . بحمل نهديها جوادين
يعبران نهراً بلا مصب . إلى نهاية الخطوط والألوان . يسبحان ينسابان

تــبرق العيـــون بالاشتهاء يصير كونها. تصير.كونه. يقول وهو يخطو خطوته الثانية خارجاً من باب الغرفة الأخيرة .

– ها أنا أواجه أكداس البرودة . لكنى سأعود إليك .

كـــوة الجـــدار انشـــقَّت بفعل العواصف المتعاقبة . يوصد الباب بين وجهيهما . يبتسمان لحظة . تنبثق فيها الرغبة فى ارتياد المجهول . تعاود النظر إلى الرصيف . قطعة من الحياة وطأها بلادة العابرين .حين تتذكر ابسامته وراء الباب الموصد يدب فى أحشائها فرح ، كأنه شهاب يشق سمـــاء من الغيبم يتدرها بالنهايات . يبشرها بلحظة انبلاج المسرة عن أكوان بلا نهاية . تقعى إلى جوار الكوة .

تطيـــل النظر إلى الرصيف . تستبين منه مالا تستطيع العين أن تنفذ إليه من خلال ثقوب السلوك الحديدية .

اشتعال الدم

جَلَسَتْ على شفا الوَهْن . كان صوت الراديو يسبح فى الفراغ الليلى . عناوين الجرأيد تفترش حنقها . طفلها الرضيع يبحث فى القمامـــة عـــن "سكاتته" . حدقت فى الوحشة .شاكس شَعْرَها الهـــواء .أحســـت بالصحراء فى حلقها . جذبها نشيج الليل من جدائل حزنها. رأت فيه ندوباً. وتعرجات. لا تحب نشيج الليل. تشـــعر فيه بأن كل مخلوقات العالم تهوى إلى الموت. أثارت كوم تراب الذاكرة . أطلقت العنان لريح معاندة . حملتها الريح حيث وضعت الشمس أوزارها . قابلته على رصيف رغبة . استضافها فى قُمَّرَتهِ . تتأرجح على ذراعيه . ترسم فوقه وردة. تتوازى.

خطوطها مع خطوط الضوء . تعود وملء كفَّيها عناقيد من بهاء .تمضى إلى شـــجرة لهفـــة ، تساقط عليها حبات من نور. أتت بها إليه رعشة اشتهاء . تطارد أكداس الوهم .

. تمضى إلى الفرح . يستقر بها المطاف فى واحته . تهبط إلى لحظة حمراء . أخذ القمر بتلابيبها . توجهت نحو ثغره .جلست على أرجوحة الليل . يسألها عن اسمها :

قالت

– من أين ؟

قالت :

– ما بُغْيَتِك ؟

قالت

– ما أنت ؟

قالت ....

....

تـــدور حـــول ثغر القمر . تعَّرض جسدها العارى للأثيل .يبدد القمــــر شـــرودها . يكسو جسدها وجه القمر دماً .تتيقن من حضـــور الـــنغم المشتهى . قال لها : الليل أرسلك . وصلتِ إلى موعـــدك . فى القمامـــة كان طفلها يبحث عن "سكاتته".لما أثار حضورها وجه الليل الملفع بالقمر بكت .حملّت جدائلها عباءة. نشـــرتها فـــوق عباءة السوداء . أمسكت بوجه الأفق . كتبت حلمها على صفحته .كتبت على أسطر الصقيع أنيناً منهمراً .

عامت علىصدر طفلها حتى الغرق .رائحته تسرى فى جسدها .يندى

عرقاًممـــتزجاً بدمـــه .همس "أنا شفت دمك". تشعر بالزلزلة تقص آثار رعـــبها. تســـتقر على جناحى طائرها الوليد. تصحو من غفوها شيئاً ما. تتناو ـــله عيناها. تنصرف إلى قلبه. تكتب على جدران قلبه ولعها."هداى يـــناديان مـــنذ شافت عيناى دمك ". تقصص عليه اشتعال دمها. تتناول عيناه. يصحو النهر فى صدرها.تنصرف إلى مداعبته فرحة. يحيط بها ذهول. تهبط من قاع الحلم . تسير فى يديه. يضع فى أناملها فزعة. تسائل أنامله عن بغيـــتها . لا تلـــبث أن تـــرجع إلى بيـــت حلمها .لكنها تشعر بالرعشة تأخذهـــا.ترســـو فى باحتة .تشعر بالحلم يذوب شيئاً فشيئاً. ترتعد.تعتذر لأنامله عن خوفها.تذهب فيها إلى سؤرة النهم .

شطر الحلم

أقمـــنا خـــيمة للجوع والتعب .وعلى بابها وقف الليل ينتظرنا.
حملت مصباحي وشوقي ، واعتزمت الخروج . جعلت حلمي تلا
أخـــذت أصـــعده خطوة خطوة . رفعت يدى بالمصباح ، فإذا
بالســـواد يسقط جثة هامدة . ولما تعبت يمناى نقلته إلى اليسرى
هكـــذا حـــتى ارتفـــع الليل فى العيون أوشك المصباح يسقط .
تـــناولت حجراً . أسندته إليه. رفعت يداى فى بؤرة الضوء كى
أرى أصـــابعى .أوشـــكت الشـــمس تصعد. لاح للكون أول
البياض. وليت وجهى شطر باب الخيمة. تركت المصباح معتمداً
على الحجر . مضيت أرقب المدى الشفيف. فيما أخذ حجْرٍ

الأرض يمتلأ بياضاً ، نظرت ، فإذا الخيمة تتلاشى كحلم ليلة من ليالى

الصقيع .

تحت المئذنة

تحـــت مئذنة قديمة ، دار دورة . رآها ترتكن أحد أضلاع قاعدة المئذنة المربعة. دار . دار صوته معه .

صلّى على النبى

لمـــلمت جلـــبابها تحت رجليها. بدتا وهى تفردها قدمى حصان تثيران عاصفة من التراب . انطلق غير آبه .

قلب المؤمن يوحد الله

لاحظهـــا وقد قذفت عينيها فى اتجاه الجراب الذى ارتكن جانبه الأيمن ، متأرجحاً معه كلما غدا أو رواح .

ساعد العاجز ياللى توحد الله

استنفر بروده . عَرْجته تتخذ منها مكاناً قصيًّا على وتر

الدائرة. يدور.يدور. عكازه بمحاذاة فخذه الأيسر ينقر الأرض. تبدو

لــه المــئذنة عالية ، مدَّببة. وجهه المغطَّى بالشعر والقمَّل يتذوَّب من

الهرش . برزت فيه ندوب وبثور . تمنَّى لو كان له مثل هذه المئذنة. فى

هذه الدورة فاجأه أنها قد تعرَّت عن نصف جسدها .

صلّى ع الحبيب . ساعد العاجز

انطلق يدور . عكازه يَصِرّ صريراً فى الرصيف المتآكل

ساعد العاجز . يكفيك شر الزمان

هــرش لحيته . انطلق يدور ، بينما أخذ بروده ينحسر كاشفاً عن بحر

من الارتعاد ، وهى تشير إلى زاوية ضَيِّقَة من الركن الذى انزوت فيه ،

دعوه للجلوس .

بقعة الصمت

رأيتهم مقبلين ، ظلالهم تدوس حبات عيونى. وكانت بقعة ضوء تتسلل فى حذر أخذه طريقها إلى أرض الغرفة . هتفت : أتوسل إليكـــم ألا ظِلكّمْ يحرقنى .قلت : إن لى أباً شيخاً ينتظر عودتى . قال قائل منهم : سنحضره لك . صرخت : لا تفعل ، إنه يموت . قال: إذا لم يأت أبيك إلى هنا فإنك لن تراه أبداً صِحْتُ : لقد قــلت لكـــم مـــا عندى . إن أبى قد بعثنى كى اشترى له خبزاً صِحْتُ : من أين لأبى بالخبز الآن ؟ وقلت : تعلمون أن لى ولداً سقتموه للحرب . قلبى احترقتموه ، وهاأنتم الآن تأسرون أبى فى سجنى الأبدى صِحْتُ بهم : فلتذهبوا إلى أبى ولتخبروه .

جعبـــتك . لكن لابد أن تعلم أن خروجك من هنا هو المستحيل ذاته .

قلت : لعل الطريق بينى وبين أبى يكون بلا ظلال (لما أتيت زنزانتى ، رأيته يجلس على عرش قلبى ، وقلبه عربة مطهمة بالشوق) ولما شاءوا أن يرسلوا له من يهدئ روعه ، اسلمته ما يكفيه فى غيابى ، وملابسى يتدثر بها عند قدوم الصقيع (جعلت أصابعى خيولاً تحمله إذا ما تساند لـــلوقوف . لما أتيت زنزانتى إذ بقلبه سماء تتداعى) . ها هم قد حملوه إلىَّ فى عربة زرقاء (لما أتيت زنزانتى رأيت فى عينه صورة ولدى الذى ســـاقوه للحرب. رأيت عينى أبى تضيئان سنين الهباء) ولَّما خف القلب إلى لقياه احتضنته عيناى والذراعان .

قلت: يا أبى هل تعرفنى ؟

أستدرت رأسى إلى كتفه. فى بكاء. قالى أبى : منذ رأت عيناى

نــورك ، وأنا أعيش فيــك . أَعْلَمٌ أنك لاتــزال على قيد

الجمر . قلنا لهم :

نتوســل إليكــم باســم المجاعــة التى سكنت قلب المدينة أن

قال قائلهم

ها قد جئنا بأبيك فَلْتُسْكِنَ أبيك ما تشاء من زنزانتك ..

أســندت أبى حــتى أوصلته إلى الجدار . أعطيته ما بقى معى من خــبز ، انصــرفت إلى بقعة الضوء الوحيدة ، تتسلّل من سقف الغرفة رحت أتأملها صامتاً .

(نشرت بصحيفة صوت الكويت الدولى)

سُـــــــمّ

وضعت له فى الساندويتش ثعباناً حيًّا وقالت

هنيئاً مريئاً.

الـــتهم الساندويتش عن آخره . من يومها وهو يبخُّ فى وجهها السم ،

بخّات لا تنقطع

بور فؤاد فى ١٤ديسمبر ١٩٩٧

شهادة

حـــين عاد من الحرب مزهوّاً حملوه على محفَّة ووضعوه على باب حديقة وقالوا :

هنا وجدناه رضيعاً عارياً فى ليلة باردة. حتى الآن ما يزال يبحث بـــين أنقـــاض ملجأ للغارات الجوية فى قلب الحديقة عن شهادة ضائعة .

بور فؤاد فى ١٤ ديسمبر ١٩٩٧

أبراج

أبراج المدينة تعلو تعلو. كل يوم برج جديد يعلو .

وهو يتضاءل. كل يوم يتضاءل ، يتضاءل .

نزع الحرارة

مَسَحتْ على جبينى بفوطة باردة

قالت :

– خذ ملعقة الدواء

حـــاولت أن أعـــتدل. لكن أطرافى انتزعت وولت هاربة كان.

وجهها مبللاً وثيابى لها رائحة الخمر الرديئة.

همَسَستْ وهى ترج عبوة صغيرة من البلاستيك صعوداً وهبوطاً

– هذه آخر ملعقة فى الزجاجة

أضافت :

– بيقولوا الحرارة فى الخارج سبعين درجة

لا هـــم لى إلا هى ، تروح وتجئ بالفوطة الباردة تمسح رأسى من

المقدمة إلى المؤخرة ، من المؤخرة إلى المقدمة . يزداد جسدى

ارتعاشـــاً . أصيح فيها أن تكفّ ، . لا أريدها أن تكفّ. يتواصل البرد

والســـخونة فى رأسى يمتلئ رأسى بالدوار. تدور عينىّ بحثاً عنها خشية

أنْ تغيب ، همس ضارعة .

– ناخدك للدكتور

– الأطباء فى العادة مايسهروش لحد دلوقتى .

قلّـــبَتْ فى صـــدرها . أخرجت يدها بكيس مثلث من القماش مبطن

بقطيفـــة زرقـــاء . تحوطه خرزات بيضاء فى كل ضلع ثلاث خرزات

وبداخله ورقة بالحبر الأحمر فيها الفاتحة وسورة يس .

أخبرتنى يوم ماتت جدتى

– ده اللى ورثناه عن الكريمة .

رمت بزجاجة الدواء إلى صفيحة القمامة.

– مش محتاج حكيم.

نظـــرت فى عينيها دون أن يفارقنى خوفى. ثَبَّتَتْ رأس الدبوس فى

الحجاب .

– رقية لك من الشيطان .

هتفت.

– شوية ميّه

أدخلت ذيل الدبوس فى مقدمة رأسى

- الصبحية نجيبلك الشيخ ياخدلك الحرارة .

أردفت .

– ماعدش ثلج .

فرشتي سارت بحراً من العرق. لم أعد أستطيع التقلب .

لاحظت دمعة تهبط منحنى وجهها .

– نقطتين ميه

– ما عدش فايدة من الزعيق

– نقطتين ميه .

دمعة ثانية انحدرت من منحنى وجهها .

– مش راضية أقولك إن الميه مقطوعة من شهرين تلاتة .

أعقبتْ .

– أشوفلك نقطتين عند جارتنا

كـــان وجهها قد إمتلأ دموعاً وهى تهم بالخروج .تسمعتْ طرقاً
خافتاً تلاه صياح وأصوات كثيرة مختلطة : افتحوا الباب. الشيخ
تعيشوا أنتم .

ندم

قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، رسم الأب علامة الصليب وقال :

لقد جئت فى الزمن الخطأ .

عيون

– أدين لعينيك بالحياة

– وأنا أدين بوجودى لهمسك الصافى

هكــذا كانــا يتــناجيان فى الليالى الباردة . يذيبان الثلوج التى كست وجه كانون . يعاودان اللقاء ، حزينة تشكو إلى حزين . ينــتظران انبلاج الشجو ، ذائبين فى غمرات الملامسة . يضعان الشــفاه فــوق غلالة الليل .يضغطان ، الشذى ، ينساب النور فيهما يغطى وجه الليل الأبدى .

وعــندما يستيقظان ، تكون النجوم انطفأت . يعود الثلج يتكور فوق الأعين الشاردة . يخرجان من فضاء النشوة . يتدافعان مع المتدافعين نحو عربات الباص العابرة .

فهرست